برنامج الخاتمة - الحلقة (145) **- اعرف امامك** (ج44)

صحائف العقيدة السليمة - القسم(38)

الصحيفة (5) **- شؤون عقيدة التوحيد** (ق14)

الشأن (2) **- اركان عقيدة التوحيد** (ج13)

الركن (4): **التوحيد في آفق التطبيق النظري والعملي لعقيدتنا على قلوبنا وعقولنا** (ق2)

الخميس : 14/**شوال**/1442**هـ - الموافق** 27/5/2021**م**

في كتاب (الاحتجاج)، صفحة (158)، حديثٌ طويلٌ لا أجد وقتاً لقراءتهِ بكُلِّ تفاصيلهِ، لكنَّني سأقرأُ بعضاً منه وأشيرُ إلى مضمونهِ الإجمالي، الرواية الَّتي ينقلها لنا القاسم بن معاوية، عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللّهِ وسلامهُ عليه والَّتي جاء في مضمونها: (من أنَّ اللّه عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ العَرش كَتَبَ عَلَيهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنين - ويستمرُّ هذا الكلام من أنَّ اللّه كتبَ هذه الكتابة على الماءِ الأوَّل - وَلَمَّا خَلَقَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَاء - إنَّه الماءُ الأوَّل، ماءُ الوجود، ماءُ الفيض - وَلَمَّا خَلَقَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَاء كَتَبَ فِي مَجْرَاه لَا إِلَهَ إِلَّا اللّه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِين)، إنَّها فطرة التكوين، فالفطرةُ الَّتي حدَّثنا عنها إمامنا الصَّادقُ في تكويننا الخلقي ما هي بمقطوعةٍ عن الفطرةِ الإلهية الَّتي أودعها اللّه في كُلِّ مخلوقاته، الإمامُ هنا حدَّثنا عن العرش، وحدَّثنا عن الماءِ الأوَّل؛ إنَّه ماءُ الوجود ماءُ الفيض، وحدَّثنا عن الكرسي؛ فإنَّ الكرسي أيضاً قد كتب اللّه على قوائمه: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللّه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِين)، وهكذا، فقد كتب اللّه ذلك على اللوح، وكتبَ ذلكَ على جبهةِ إسرافيل، وكتبَ ذلكَ على أجنحةِ جبرائيل، وكُلُّ هذهِ نماذج، فإنَّ الروايةَ لا تتحدَّثُ عن قائمةٍ بكُلِّ ما خَلَقَ اللّه، هذا أمرٌ كيفَ نستطيعُ أن نحصرهُ في روايةٍ بعدَّة سطور، هذهِ أمثلةٌ، فالفطرةُ التكوينيةُ في خلقةِ العرش هي هي الفطرةُ التكوينيةُ في خلقتنا.

فالقُرآنُ تحدَّث عن فطرةِ الخلق في الآيةِ الثلاثين بعدَ البسملةِ من سورةِ الروم، الآيةُ واضحةٌ وصريحةٌ جِداً: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا - ثُمَّ ماذا تقولُ الآيةُ؟ - لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، فهذا القانونُ قانونٌ يجري في كُلِّ خلقهِ، الحديثُ عن الدِّينِ القَيِّمِ، فإنَّ الدِّينَ القَيِّمَ مُوجَّهٌ بالدرجة الأولى للنَّاسِ لبني آدم، وبعدَ ذلكَ يُوجَّهُ لكائناتٍ أخرى، لكنَّ الدِّين والقُرآن مُوجَّهٌ لبني آدم بالدرجة الأولى - ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ - فأن تكون الفطرةُ الإلهيةُ في عالمِ التكوينِ هي هي الفطرةُ في تكوينُ النَّاس، فالنَّاس جزءٌ من هذا التكوين، وكُلُّ ذلك عبَّرت الآيةُ عنه - ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وأوَّلهم مراجعُ النَّجف.

أعود إلى الرواية التَّي حدَّثنا بها القاسم بن معاوية:

فإنَّ اللّه كتبَ مضمونَ الفطرةِ هذا على عرشهِ، وعلى الماءِ الأوَّل، وعلى قوائم الكرسي، وعلى اللوح، وعلى جبهةِ إسرافيل، وعلى أجنحةِ جبرائيل، وكتب ذلك في أكنافِ سماواته؛ ﴿وَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ كَتَبَ فِي أَكْنَافِهَا -

في كُلِّ جهاتها، أكنافها؛ جهاتها، جوانبها - كَتَبَ فِي أَكْنَافِهَا؛ لَا إِلَه إِلَّا اللّه، مُحَمَّدٌ رَسُول اللّه، عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِين)، ولَمَّا خلقَ الأرضين كتبَ في أطباقها كذلك، ولَمَّا خلقَ الجبال كتب في رؤوسها أيضاً، ولَمَّا خلق الشمس كتبَ عليها ذلك، ولَمَّا خلقَ القَمَرَ كَتَبَ عليه؛ لَا إِلَه إِلَّا اللّه، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه، عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِين، الحديثُ هنا عن كتابةٍ تكوينيّةٍ وليسَ عن كتابةٍ بمدادٍ وحبرٍ وقلمٍ وحروف، إنَّها كتابةُ التكوين، ولكنَّها حينَ تُنزَّلُ في عالمِ الألفاظِ تُنزَّلُ بهذهِ العبارات؛ (لَا إِلَه إِلَّا اللّه مُحَمَّدٌ رَسُول اللّه عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِين).

فإمامنا الصَّادقُ هنا يُحدِّثنا عن أنَّ التكوين بكُلِّهِ فَطَرَهُ اللّهُ على هذهِ الفطرةِ التَّي فُطِرنَا عليها، نظامٌ واحد، ولذا يقول لنا إمامنا الصَّادقُ بلسانِ الأمرِ الواجبِ الواضح: (فَإِذَا قَالَ أَحدُكُم لَا إِلَه إِلَّا اللّه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه فَلْيَقُل - هذا فعلٌ مضارع مصحوبٌ بلامِ الأمر، والفعلُ المضارعُ المصحوبُ المسبوقُ بلامِ الأمر دِلالتهُ في الوجوبِ هي أقوى بكثيرٍ من دلالة فعل الأمر، إنَّهُ مضارعٌ مصحوبٌ بلامِ الأمر، فَفيه دِلالةٌ على استمراريّةِ هذا الأمر في جميعِ الأحوال، في حاضرنا وفي مستقبلنا، في كُلِّ موقفٍ من مواقفنا، الإمامُ ما قال لنا (فقولوا) بصيغة فعل الأمر، وإنَّما خاطبنا بصيغة الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر،

إنَّهُ أمرٌ مُستمرٌّ مُستديمٌ ثابتٌ في حاضرنا وفي مستقبلنا في كُلِّ ثانيةٍ في كُلِّ لحظةٍ - فَإِذَا قَالَ أَحدُكُم لَا إِلَه إِلَّا اللّه، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه، فَلْيَقُل عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِين).

حديثُ سلسلةِ الذَّهب، حديثُ الرِّضا صلواتُ اللّهِ وسلامهُ عليه، في نُسختين:

-في نُسخةٍ عامَّةٍ أطلقها لعامَّةِ المسلمين.

-وفي نُسخةٍ خصَّ بها شيعةَ أمير المؤمنين.

في النسخة العامَّة الَّتي أطلقها في جوِّ عموم المسلمين:

أقرأ عليكم من كتاب (التوحيد) للشيخ الصدوق رحمةُ اللّهِ عليه، المتوفى سنة 381 **للهجرة، طبعةُ مؤسَّسةِ النشر الإسلامي، في الصفحةِ السابعةِ والعشرين، إنَّهُ الحديثُ الثالثُ والعشرون: بسندهِ، عَن إِسْحَاق بنِ رَاهَوية،**

قَالَ: لَمَّا وَافى أَبُو الحَسَنِ الرِّضَا بِنيسَابُور - في طريقه إلى المأمون لَمَّا جاءوْا بِهِ من الحجاز - لَمَّا وَافى أَبُو الحَسَنِ الرِّضَا بِنيسَابُور وَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا إِلَى الْمَأمُون - باتجاه طوس - اِجْتَمَعَ إِلَيهِ أَصْحَابُ الحَدِيث، فَقَالُوا لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللّه تَرْحَلُ عَنَّا وَلَا تُحَدِّثنَا بِحَدِيثٍ فَنَسْتَفِيدهُ مِنْك، وَكَانَ قَدْ قَعَدَ فِي العُمَارِيَة أو العُمَارِيَّة - والعُمارِيَّة أو العُمارِيَة، الهودج الَّذي يُوضَعُ على النَّاقة - وَكَانَ قَدْ قَعَدَ فِي العُمَارِيَّة أو في العُمَارِيَة فَأَطْلَعَ رَأسَهُ وَقَالَ: سَمِعْتُ أَبِي مُوسَى بنُ جَعْفَر يَقُول - فَأَطْلَعَ رَأسَهُ؛ أطلع رأسه من الهودج، والروايات الَّتي نقلت الخبرَ مُفصَّلاً فإنَّ أعداداً هائلةً كانوْا قد حضروْا في ذلكَ المكان وهم يحملون أوراقهم ومحابرهم وأقلامهم فحدَّثهم إمامنا الرِّضا بهذا الحديث فكتبوْا، سُمِّي بحديثِ سلسلةِ الذَّهب لهذا السَّندِ الذَّهبي الَّذي سيذكره لنا إمامنا الرِّضا، فهو يقول إمامنا الضامن صلواتُ اللّهِ عليه: سَمِعْتُ أَبِي مُوسَى بنُ جَعْفَر يَقُول: سَمِعْتُ أَبِي جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّد يَقُول: سَمِعْتُ أَبِي مُحَمَّدَ بنَ عَلِيّ يَقُول: سَمِعْتُ أَبِي عَلِيَّ بنَ الحُسَين يَقُول: سَمِعْتُ أَبِي الحُسَينَ بنَ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِب يَقُول: سَمِعْتُ أَبِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِب يَقُول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ وآلِه يَقُول: سَمِعْتُ جَبْرَائِيل يَقُول: سَمِعْتُ اللّه جَلَّ جَلَالُهُ يَقُول: لَا إِلَه إِلَّا اللّه حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي - قال الراوي وهو إسحاق بن راهوية - فَلَمَّا مَرَّت

الرَّاحِلَة - مرَّت الناقة الَّتي عليها الهودج الَّذي كانَ الإمامُ جالساً فيه - فَلَمَّا مَرَّت الرَّاحِلَة نَادَانَا؛ بِشُرُوطِهَا - إنَّهم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد - وَأَنَا مِن شُروطِها - فَلَمَّا مَرَّت الرَّاحِلةُ نَادَانَا؛ بِشُرُوطِهَا - بشروطها هذا هو الركنُ الثالثُ من أركانِ عقيدتنا التوحيديّة، حينَ نتوجَّهُ إلى إمام زماننا وهوَ وجهُ اللّه، بِشُرُوطِها بإمامةِ مُحَمَّدٍ وعلي وفَاطِمَة والأَئِمَّةِ مِن وُلدِها من المجتبى إلى القائم، تلكَ هي الشروط يقول: (وَأَنَا مِن شُرُوطِهَا)، وأنا البابُ الَّذي فتحهُ اللّه لكم، أنا وجهُ اللّه فإليَّ توجَّهوْا؛ (لَا إِلَه إِلَّا اللّه حُصْنِي فَمَن دَخَل حُصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابي)، هذهِ العبارة تشتمل على الركن الأول والثاني.

" -فلا إِلَه إِلَّا اللّه"؛ تُشيرُ إلى الركنِ الأوَّل.

-ولكن حينما يمتزجُ المعنى حُصْنِي "فَمَن دَخَل حُصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي"، فهنا إذا أردنا أن نُترجم هذهِ العبارة إنَّه الركن الثاني من أركان عقيدتنا التوحيديّة، التوحيدُ في أفقِ الحقيقةِ المُحَمَّديَّة.

-وأمَّا الركن الثالث حين قال: "بِشُروطِهَا وَأنا مِن شُروطِهَا."

-أمَّا الركن الرابع فهو ما ينعكس علينا، ما هي الآثار الَّتي تترتّب علينا.

لن أتشعَّب كثيراً في الحديثِ لكنَّني سأذهبُ بشكلٍ مُستقيمٍ إلى كتابٍ آخر من كتب شيخنا الصدوق: عيونُ أخبارِ الرِّضا.

في الجزء الثاني / طبعة مؤسَّسة الأعلمي / بيروت - لبنان / الباب الثامن والثلاثون / صفحة (146)، الحديثُ أيضاً بسلسلةٍ ذهبية، إنَّهُ عن إمامنا الرِّضا، عن إمامنا الكاظمِ، عن إمامنا الصَّادقِ، عن أبيهِ، عن آبائهِ، عن كُلِّ أئِمَّتنا، عن أميرِ المؤمنين، عن النَّبي صلَّى اللّهُ عليهِ وآله، عن جبرائيلَ، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللَّوحِ، عَن القَلَم، قَالَ: (يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَايَةُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي)، هذا هو التوحيدُ بعينهِ، ذلكَ الكلامُ كانَ مُغلَّفاً، ولذا في خاتمة القولِ ماذا قال لهم؟ (بِشُرُوطِهَا وَأَنا مِن شُرُوطِهَا) وإنَّما الأمور بخواتيمها، الأمرُ المقشَّرُ من دون قشور من دون تغليف هذا هو التوحيد، إنَّها بيعةُ الغدير، بالمضمون الَّذي شرحتهُ لكم، لا بما عليهِ غُبران النَّجف الَّذينَ نقضوْا بيعة الغدير، نقضوها في

تفسيرهم للقُرآن، نقضوها في عقائدهم، نقضوها في الفتاوى وفي الفقه وفي رسائلهم العمليّة، نقضوها في كُلِّ شيءٍ في وكلائهم الَّذينَ يبعثونهم لنشر الضلال بينَ الشيعة، في خطباءِ المنبر الَّذينَ يبعثون بهم لنشرِ الضلال.

في الجزء التاسع والثلاثون من (بحار الأنوار) للشيخ المجلسي رحمةُ اللّه عليه / طبعة دارِ إحياءِ التراث العربي / بيروت - لبنان / صفحة 249 / إنَّهُ الحديث الحادي عشر: بِسنده - إنَّهُ نقل الحديث عن بِشارة المصطفى - بِسَنده، عَن صَدَقة بن مُوسَى، عَن مُوسَى بنِ جَعْفَر - عن إمامنا الكاظمِ - عَن أَبيهِ الصَّادِقِ، عَن جَدِّهِ البَاقِرِ - إنَّها أحاديثُ سلاسل الذَّهب، والكلامُ كُلُّهُ من ذهب، إنَّهُ الذَّهبُ المصفَّى من شفاهِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، إمامنا الكاظمُ يُحدِّثنا عن إمامنا الصَّادقِ، عن إمامنا الباقرِ، وإمامنا الباقرُ يُحدِّثنا عن جابرٍ الأنصاري - قَالَ، قَالَ رَسُول اللّه - وإنَّما يُحدِّثُ الباقرُ عن جابرٍ الأنصاري لأجل أن يُصدِّقهُ أهلُ المدينة، ألا سوَّد اللّه وجوههم، الروايات تُخبرنا من أنَّ الباقر حينما كانَ يُحدِّثهم عن رسولِ اللّه كانوْا يُكذِّبونه، ولكن حينما أخذَ يُحدِّثهم عن جابرٍ الأنصاري قالوْا نعم، فإنَّ جابراً قد أدركَ رسول اللّه، الموازين هي هي، نفسُ الموازين الَّتي أنشئت عليها حوزة الطوسي، على أيِّ حالٍ، فإمامنا الباقر يُحدِّثنا عن جابرٍ الأنصاري عن رسول اللّه صلَّى اللّهُ عليهِ وآله،

الكلامُ هنا كلامُ رسولِ اللّه، ماذا يقولُ سيِّدُ الكائنات؟: (إِنِّي لَأَرْجُو لِأُمَّتِي - إِنِّي لَأَرْجُو؛ ما قال (إِنَّني) للتأكيد، وجاء بإنَّ هنا للتأكيد والتشديد، إِنِّي لَأَرْجُو، وهذه اللامُ للتأكيد أيضاً، هذه لامُ التوكيد - إِنِّي لَأَرْجُو لِأُمَّتِي فِي حُبِّ عَلِيٍّ كَمَا أَرْجُو فِي قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّه)، لماذا؟ لأنَّ المضمونَ واحد، المضمونُ هو هو، البيانُ الَّذي تقدَّم ذكرهُ في مضمونِ بيعةِ الغديرِ المُحَمَّديَّة هو هو هذا بعينهِ في الحلقاتِ السابقة.

هذا كلامُ رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وآله بمسمعٍ من جابرِ الأنصاري: (إِنِّي لَأَرْجُو لِأُمَّتِي فِي حُبِّ عَلِيٍّ كَمَا أَرْجُو فِي قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّه)، حديثٌ في مستوى الأحاديثِ البرزخيةِ الَّتي مرَّ الحديثُ عنها ما بين مرحلةِ التنزيلِ والتأويل.

ما قالهُ إمامنا الرِّضا هو صريحٌ في مضمونِ التوحيدِ في مرحلةِ التأويل، إِنَّني أتحدَّث عمَّا حدَّثَ بهِ أشياعهُ: (وَلَايَةُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ حِصْنِي).

أمَّا حديثُ: (لَا إِلَه إلَّا اللّه)، فذلك حديثٌ برزخيٌّ فيه علاماتٌ وبقايا من مرحلةِ التنزيل، ولذا أضاف الإمام الرِّضا: (بِشُرُوطِهَا وَأَنَا مِن شُرُوطِهَا)، أمَّا الحقيقةُ فكانت في الحديثِ الثاني.

في سورةِ النبأ:

وفي الآيةِ الثامنةِ والثلاثين بعدَ البسملةِ من سورة النبأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾، الرُّوحُ والملائكةُ الَّذين ذُكِروْا في سورة القدر، فإنَّ الملائكة تتنزَّلُ والرُّوحُ فيها، في ليلةِ القدر تتنزَّلُ عليهم، تتنزَّلُ على إمام زماننا صلواتُ اللّهِ وسلامهُ عليه، والرُّوحُ في تأويلهم مظهرٌ من مظاهرِ الحقيقةِ الفاطميّة، هذا ما هو كلامي هذا تأويلهم في رواياتهم، في أحاديثهم الشريفة.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، إذاً هناكَ جموعٌ لا يُؤذَن لها، وإذا ما تكلَّمت فإنَّها لا تتكلَّمُ الصَّواب،

قطعاً آياتُ الكتابِ لها أفاقٌ، فأنا لا أتحدَّثُ عن كُلِّ أفاقها، ولكن في أفقٍ من أفاقها هكذا جاء تأويلهم.

في (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة)، للمُحدِّث شرف الدين الاسترابادي النَّجفي / الجزء الثاني / طبعة مؤسَّسة الإمام المهدي / قم المقدَّسة / صفحة 761 **/ الحديثُ التاسع: بِسنده، عَن عَبْد اللّه بنِ حَمَّاد، عَن أَبِي خَالِدٍ القَمَّاط - والرواية ينقلها صاحبُ الكتاب عن (تفسيرِ ابنِ الماهيار)، من روائعِ تفاسيرِ أهلِ البيت الَّتي فقدناها، بقيت منها بقايا تنتشرُ في كُتبنا، من الكتب الَّتي يتواجدُ فيها شيءٌ واضحٌ من تفسيرِ ابنِ الماهيار هو هذا الكتاب الَّذي بين يدي (تأويل الآيات الظاهرة)، على أيِّ حالٍ، أذهبُ إلى الرواية: بِسنده، عَن عَبْد اللّه بنِ حَمَّاد، عَن أَبِي خَالِدٍ القَمَّاط، عَن إِمَامِنَا الصَّادِقِ صَلواتُ اللّه عَلَيه، عَن أَبِيهِ البَاقِرِ صَلواتُ اللّه وسلامهُ عَلَيه، قَالَ، قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَة وَجَمَعَ اللّهُ الخَلَائِقَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِيْنَ فِي صَعِيْدٍ وَاحِد خُلِعَ قَوْلُ لَا إِلَه إِلَّا اللّه مِنْ جَمِيْعِ الخَلَائِقَ إِلَّا مَنْ أَقَرَّ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ عَلَيهِ السَّلَام، وَهُو قَوْلُه تَعَالَى: "يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا" - فَيُخلَعُ قولُ لا إله إلَّا اللّه لأنَّ حقيقتهُ ولايةُ علي.**

يا أبا بصير هذهِ الكلمةُ الَّتي لو أدركنا حقيقتها لذابت قلوبنا معها، يا أبا بصير الباقر يقول لهُ لَمَّا جاء من الكوفةِ إلى المدينة، والروايةُ في (الكافي الشريف)، في الجزء الأول: (يَا أَبَا بَصِير هَلْ عَرَفْتَ إِمَامَك؟ فَقَالَ: إِي واللّه قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الكُوفَة - فماذا قال له؟ - حَسْبُكَ إِذاً)، حَسْبُكَ إِذاً، هذا هو التوحيدُ (هُو الَّذي أَنتُم عَلَيه).

في الجزء الأول من (الكافي الشريف)، صفحة (113)، هناك بابٌ عُنوانهُ (بابُ النسبة)، والمرادُ من النسبةِ بتعابيرنا في يومنا هذا إنَّها بطاقةُ الهويَّة، إنَّها البطاقةُ المدنيّة، إنَّها هُويَّةُ التعريفِ بالشخصيّة، هي البطاقةُ الَّتي يحملها الإنسانُ معهُ للتعريفِ بشخصيَّتهِ، قد تكونُ على مستوى المواطنةِ في البلد وقد تكونُ على مستوى العملِ في مؤسَّسةٍ من المؤسَّسات، بطاقة التعريف، فالمرادُ من النسبة هنا في كتاب التوحيدِ في الكافي الشريف إنَّها بطاقةُ تعريفٍ باللّهِ سُبحانه وتعالى، هذا هو المراد، قطعاً بحسبِ ما جاء عنه في قُرآنهِ،

وبحسب ما جاء عنهم في تأويل قُرآنه، وفيما وصفوه صلواتُ اللّهِ عليهم، في الوصفِ الَّذي وردنا عنهم للّهِ سُبحانه وتعالى مرَّ الحديثُ في هذهِ الجهات.

الحديثُ الثاني: عَن حَمَّاد بنِ عَمْرٍ النَّصِيْبِي - قطعاً الروايةُ بسندِ الكليني، عن فلان عن فلان - عَن حمَّاد بنِ عَمْرٍ النَّصِيْبِي، عَن إِمَامِنا الصَّادِقِ صَلواتُ اللّهِ وسَلامهُ عَلَيْه - يقول حمَّاد - سَأَلْتُ أَبَا عَبْد اللّه عَنْ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد"؟ فَقَالَ إِمَامُنا الصَّادقُ: نِسْبَةُ اللّهِ إِلَى خَلْقِه - إلى آخر الرواية، الروايةُ طويلةٌ، وأنا لا أريد أن أقرأها بتمامها، وإنَّما ذهبتُ إلى موطن الحاجة منها، فحمَّاد يسأل الإمام الصَّادق عن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد﴾ عن سورةِ الإخلاص كما تُسمَّى، عن سورة التوحيد، فماذا قال إمامنا الصَّادقُ؟ قال صلواتُ اللّهِ عليه: (هِيَ نِسْبَةُ اللّهِ إِلَى خَلْقِه)، فهذهِ بطاقةُ تعريفٍ، هذه هُويَّةُ تَعريفٍ وردت في الكتابِ الكريم، وقد ورد في أحاديثهم من أنَّها أُنزِلت إلى المتعمِّقين في آخرِ الزمان، والروايةُ أيضاً في الكافي الشريف، من أنَّ سورة التوحيد أُنزِلت إلى المتعمِّقين في آخر الزمان، لا أريدُ أن أقفَ عندَ هذهِ الجهةِ، وإنَّما الكلامُ له تداعيات، فالحديثُ جرَّ الحديث.

هذا المضمونُ نجدهُ واضحاً في الحديثِ أيضاً عن إمامنا الصَّادق وهوَ حديثٌ مُطوَّل مُفصَّلٌ، حديثُ الصَّلاةِ المعراجيّةِ المُحَمَّديَّة، حينما صلَّى مُحَمَّدٌ المصطفى في مِعراجهِ بينَ يدي اللّه سُبحانه وتعالى، صلاتهُ المعراجيّةُ في عوالم النورِ بينَ يدي اللّه سُبحانه وتعالى، حديثٌ طويلٌ، أوَّل حديثٍ في الجزء الثاني من كتاب (علل الشرائع) لشيخنا الصدوق رحمةُ اللّهِ عليه، أول روايةٍ في الجزء الثاني، أذهبُ إلى موطن الحاجةٍ، صفحة:(247)

فَقَالَ لهُ: اقْرَأ - مَن الَّذي قال؟ اللّهُ سبحانه وتعالى قال لمُحَمَّدٍ صلَّى اللّهُ عليهِ وآله - فَقَالَ لهُ: اقْرَأ "قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَد" - في تفاصيل الصَّلاة - كَمَا أُنْزِلَت فَإِنَّهَا - اللّه يقول - فَإِنَّهَا نِسْبَتِي وَنَعْتِي - سبحانه وتعالى هو الَّذي يقول هذه بطاقة تعريفٍ بي - فَإِنَّهَا نِسْبَتِي وَنَعْتِي - كما قلت لكم هذا حديثٌ طويلٌ في الصَّلاة المعراجيّة المُحَمَّديَّة.

سُورة التوحيدِ بحسبِ ما قال اللّه سبحانه وتعالى من أنَّها (نِسبَتُه)، وكما بَيَّنَ لنا إمامنا الصَّادقُ من أنَّها (نِسبَةُ اللّه)، هذه البطاقةُ الربانيّة الَّتي

أُنزِلت للمُتعمقِّين في آخرِ الزمان، وردت بخصوصها رواياتٌ وروايات وروايات، وأحاديثُ وأحاديثُ وأحاديث.

في الجزء الثاني من (تأويل الآياتِ الظاهرة)، صفحة (860)، الحديثُ الأوَّل فيما يرتبطُ بسورة الإخلاص: عبد اللّه بنُ عبَّاس يقول، قَالَ رَسُول اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْه وآلِه: يَا عَلِيّ، يَا عَلِيُّ مَا مَثَلُكَ فِيْ النَّاس إِلَّا كَمَثَلِ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَد فِي القُرْآن - نحنُ في عصرِ التنزيل، هُناكَ ارتباطٌ واضحٌ بينَ عليٍّ وسورة التوحيد، وهُناكَ إشاراتٌ كثيرةٌ في رواياتنا في أحاديثنا، فعليٌّ كانَ يُصلِّي بها دائماً، وهناكَ من الأحاديثِ ما يُشير إلى هذا المضمون في زمانِ رسولِ اللّه وحتَّى بعد زمانِ رسول اللّه، يعني في عصر التنزيلِ وفي عصرِ التأويل، وإذا وجَّهتم أنظاركم إلى كُتبِ الأدعيةِ والصَّلواتِ المندوبةِ والنَّوافلِ فإنَّ الصَّلاة الخاصَّة بعليٍّ السورة الَّتي تُقرأ فيها سورةُ التوحيد، بينما الصَّلاةُ الخاصَّةُ برسول اللّه فإنَّ السورة الَّتي تُقرأ فيها سورةُ القدر، والصَّلاةُ الخاصَّةُ بفَاطِمَة فهي الجامعةُ بينَ الحقيقتين تُقرأ فيها سورة القدر وسورة التوحيد هي القَيِّمةُ، صلاتُها فيها رمزيّةٌ إلى قيمومتها، فهي أُمُّ أبيها وهي القَيِّمةُ زمان عليٍّ وزمان مُحَمَّدٍ وزمان الحُجَّةِ بن الحسن، ﴿وَذَلِكَ دِيْنُ القَيِّمَة﴾.

أعود إلى الروايةِ:

رسولُ اللّه يقولُ للأمير: يَا عَلِيّ، مَا مَثَلُكَ فِي النَّاس إِلَّا كَمَثَلِ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَد فِي القُرْآن، مَنْ قَرَأَهَا مَرَّة فَكَأَنَّما قَرَأَ ثُلُثَ القُرْآن، وَمَنْ قَرَأَها مَرَّتَينِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَي القُرْآن، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلاث مَرَّاتٍ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ القُرْآنَ كُلَّه - إنّه انعكاسٌ لمضمونِ الفطرةِ في تكويننا:

" -لَا إِلَه إِلَّا اللّه"، أوَّلاً.

" -مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه"، ثانياً.

" -عَلِيٌّ وَلِيُّ اللّه"، ثالثاً.

-وَكَذَلِكَ أَنْتَ يَا عَلِيّ مَنْ أَحَبَّكَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَحَبَّ ثُلُثَ الإِيمَانِ، وَمَنْ أَحَبَّكَ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ فَقَدْ أَحَبَّ ثُلُثَيِ الإِيمَانِ، وَمَنْ أَحَبَّكَ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ فَقَدْ أَحَبَّ الإِيمَانَ كُلَّهُ - تتذكّرونَ كلمة رسول اللّه في يوم الخندق: (بَرَزَ الإِيمَانُ كُلُّهُ إِلَى الشِّرْكِ كُلِّهِ)، وذلكَ كان في عصر التنزيل، وحتَّى هذا الحديثُ من أحاديثِ عصر التنزيل الَّتي تُقارِبُ مضامين عصرَ التأويل.

-التوحيد كُلُّه عليٌّ.

-الإيمان كُلُّه عليٌّ.

-الدين كُلُّهُ عليٌّ.

-الحقيقةُ كُلُّها عليٌّ، بل إنَّ الحقيقة تدور حول عليٍّ، فالحقُّ يدورُ معهُ حيثُما دار.

في الجزء الثاني من (الكافي الشريف) من الطبعةِ نفسها الَّتي أشرتُ إليها، صفحة (614)، إنَّهُ الحديثُ العاشر من البابِ الَّذي عُنوانهُ (بابُ فضلِ القُرآن)، الحديثُ العاشر: بِسَنَدِه، عَن مَنْصُورِ بن حَازِم، عَن إِمَامِنَا الصَّادِقِ صَلَواتُ اللّهِ وسَلَامهُ عَلَيْه - ماذا يقول إمامنا الصَّادق؟ انتبهوْا إلى هذهِ الروايةِ المهمَّة - مَنْ مَضَى بِهِ يَومٌ وَاحِد فَصَلَّى فِيهِ بِخَمْسِ صَلَوات - إنَّها الصَّلَواتُ المفروضةُ الَّتي تعرفونها - مَنْ مَضَى بِهِ يَومٌ وَاحِدٌ فَصَلَّى فِيهِ بِخَمْسِ صَلَواتٍ وَلَم يَقْرَأ فِيهَا بِقُلْ هُوَ اللّهُ أَحَد قِيْلَ لَهُ - مَن الَّذي قال له؟ إنَّها الجهاتُ المسؤولة، الجهاتُ المسؤولة سَيِّدها الحُجَّةُ بن الحسن، والَّذينَ يُتابعون ما يجري الملائكة الَّذين هم جندٌ عند الحُجَّة بن الحسن - قِيْلَ لَهُ يَا عَبْدَ اللّه لَسْتَ مِنَ الْمُصَلِّيْن - أنت تتوقَّعُ أنَّكَ من المصلِّين، لماذا؟ لأنَّكَ يا أيُّها المصلِّي ما جئتَ ببطاقةِ التعريف الإلهيَّة والَّتي تُشير إلى عليٍّ في كُلِّ اتجاهاتها، وبعدَ ذلك يقولون لكم إنَّ ذكرَ عليٍّ يُبطِلُ الصَّلاة..

في (معاني الأخبار) للشيخ الصدوق / طبعة مؤسَّسةِ النشر الإسلامي / قم المقدَّسة / في الصفحة الثالثة والتسعين / والباب عنوانه (معنى الاسم) / الحديث الثاني: بسنده، عَن مُحمَّدِ بنِ سِنَان عَنْ أَبِي الحَسَنِ الرِّضَا صَلوات اللّهِ عَلَيْه، قَالَ: سَأَلتُهُ - مُحمَّد بنُ سنان يقول - سَأَلتُه - سألت الرِّضا - سَأَلتُهُ هَلْ كَانَ اللّهُ عزَّ وَجَلَّ عَارِفًا بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَخلُقَ الخَلْق - انتبهوْا للسؤال قَالَ الإِمَامُ: نَعَم - كَانَ عارفًا بنفسهِ قبل أن يخلق الخلق - قَالَ: نَعَم، قُلتُ: يَرَاهَا وَيَسْمَعُهَا؟ - يرى نفسهُ ويسمع نفسه؟ هذا السائل هو نفسه مُحمَّد بن سنان - قُلتُ: يَرَاهَا وَيَسْمَعُهَا؟ قَالَ إِمَامُنَا الرِّضَا: مَا كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى ذَلِك لأَنَّهُ لَم يَكُن يَسأَلُها وَلَا يَطْلُبُ مِنْهَا هُو نَفْسُهُ وَنَفْسُهُ هُو، قُدْرَتُهُ نَافِذَة فَلَيْس يَحْتَاجُ أَنْ يُسَمِّي نَفْسَه، وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَسْمَاءَ لِغَيْرِه يَدْعُوه بِهَا، لأَنَّهُ إِذَا لَم يُدْعَى بِاسْمِه لَم يُعْرَف، فَأَوَّل مَا اخْتَارَ لِنَفْسِه العَلِيُّ العَظِيْم لأَنَّهُ أَعْلَى الأَشْيَاءِ كُلِّهَا فَمَعْنَاهُ اللّه وَاسْمُهُ العَلِيُّ العَظِيْم، وَهُوَ أَوَّلُ أَسْمَائِهِ لِأَنَّهُ عَلِيٌّ عَلَى كُلِّ شَيء - هذا هو الَّذي وقعَ فيهِ السبأيةُ والخطابيّةُ، ألا لعنةُ اللّهِ على الأنجاس منهم الأحياء الَّذينَ يُعاصروننا، هنا وقعت السبأيةُ والخطابيةُ والمغيريّةُ والبيانيّةُ والشَعيريّةُ والنُّصيريّةُ و و و، وقعوْا هنا، النُّصيريّةُ ماذا يقولون؟ يقولون من أنَّ مُحَمَّداً هو الاسم، ومن أنَّ علياً هو المعنى هو المسمَّى، هذهِ عقيدة النصيريّة، وهي عقيدةُ جهلٍ وضلالٍ، نصبوْا لهم أئِمَّةً

جُهّالاً لا يفقهون معارفَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، وبعدَ ذلك زادوْا في أكاذيبهم وضلالهم، والأكاذيبُ تجرُّ الأكاذيب حتَّى صنعوْا لهم تلالاً وجبالاً من الأكاذيب، هنا وقع الغلاةُ.

هذه الروايةُ وأمثالها تتحدَّثُ عن التوحيدِ في أفقِ الحقيقةِ المُحَمَّديَّة، فإنَّ الحقيقة المُحَمَّديَّة تجلَّى منها للخلقِ الأسماءُ الثلاثةُ الظاهرة أوّلها وسيّدها (اللّه)، أول اسم تجلّى من هذا الاسم؛ (العليُّ العظيم).

نحن الآن إذا رجعنا إلى الكافي الشريف إلى الجزء الأول، وإلى (بابِ حدوث الأسماء) إلى الحديث الَّذي مرَّ علينا عن الصَّادقِ صلواتُ اللّهِ وسلامهُ عليه: (إنَّ اللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْمًا بِالْحُرُوفِ غَيرَ مُتَصَوِّت - إلى أنْ قال: فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَّةً - وبعد ذلك تقول الرواية الشريفة: فَهَذِهِ الأَسْمَاءُ الَّتِي ظَهَرَت فَالظَّاهِرُ هُوَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى)، وتستمرُّ الروايةُ، يُمكنكم أن تعودوْا إليها، فالاسمُ الأوَّلُ الَّذي ظهر من الحقيقة المُحَمَّديَّةِ لفاقةِ الخلقِ ولحاجتهم هو (اللّهُ)، وتجلَّت الأسماءُ منه من جملةِ الأسماء الأصول الَّتي ذُكِرت في قائمة الأسماء (العَلِيُّ العَظِيم)، وأنا قلت لكم هذا الحديثُ حَدَثَ فيه خللٌ في نقلهِ

ومرَّ الكلامُ بخصوصهِ، لكن إذا جمعنا بينهُ وبينَ الأحاديث الأخرى فإنَّ الاسم الأوَّل الَّذي تجلّى من (اللّه) الَّذي هو أحدُ الأسماء الظاهرة من الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّة تجلَّى؛ (العَلِيُّ العَظيم).

فالعليُّ العظيم؛ هو الاسم.

والمعنى؛ هو اللّه، وهو الاسمُ الأوَّلُ والأصلُ الَّذي تجلّى وظهر من الحقيقة الـمُحَمَّديَّة وهو الحقيقةُ العلويّة.

-هذا هو التلازمُ بين سورة التوحيد وبين عليٍّ.

-هذا هو التلازمُ بين لا إله إلَّا اللّه وولايةِ عليٍّ.

-هذا هو الَّذي كان يرجوهُ مُحَمَّدٌ صلَّى اللّهُ عليهِ وآله في حُبِّ عليٍّ للأُمَّة كما يرجو في قولِ "لا إِله إلَّا اللّه."

-هذا هو التلازم بين عليٍّ وشهر رجبٍ وسورة التوحيد.

-هذا هو التلازمُ بين عليٍّ وصلاتهِ الخاصَّةِ بهِ وبين سورة التوحيد.

-هذا هو التلازم في كُلِّ المظاهرِ والشؤوناتِ العلويّة فيما بينها وبين سورة التوحيد.

فاللّهُ الَّذي تجلّى من الحقيقةِ المُحَمَّديَّة هي الحقيقةُ العَلَويَّة، لأنَّ الحقيقة العَلَويَّة هي البابُ الَّذي صدرت منه الموجودات، وكُلُّ الأسماءِ صدرت وتفرَّعت من الحقيقةِ العَلَويَّة، فهذا الحديثُ في مرحلةِ التنزيلِ على سبيل المثالِ: (أَنَا مَدينَةُ العِلمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، أَنَا مَدِينَةُ الحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا)، البابُ هو عليٌّ، من هنا يصدرُ الفيض، من هنا يأتي الفيض، ففيضُ الحقيقة المُحَمَّديَّة صَدَرَ عبر الاسم (اللّه) وهو عنوانٌ للحقيقة العلويّة، الرواياتُ تُحدِّثنا من أنَّ عليًّا سمَّاهُ اللّه عليًّا اشتقَّ اسمهُ من اسمهِ (العليِّ العظيم).

الَّذي نقصدهُ بشكلٍ خاص من الرواية ونحتاجه هنا: (فَأَوَّلُ مَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ العَلِيَّ العَظِيم)، ما تقدَّمَ من كلامٍ واضحٌ فيهِ نحو مُداراةٍ في الحديثِ عن الركنِ الأوَّلِ والثاني للسائلِ الَّذي سأل، لكنَّ جوهرة الحديث هنا: (فَأَوَّلُ مَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ العَلِيَّ العَظِيم لأنَّهُ أَعْلَى الأَشْيَاءِ كُلِّهَا فَمَعْنَاهُ اللّه وَاسْمُهُ العَلِيُّ العَظِيْم، وَهُوَ أَوَّلُ أَسْمَائِهِ لِأَنَّهُ عَلِيٌّ عَلَى كُلِّ شَيء)، تحديداً هذهِ العبارة: (فَمَعْنَاهُ اللّه وَاسْمُهُ العَلِيُّ العَظِيم) هذا المضمون إذا أخذناه وذهبنا إلى الحديث الَّذي مرَّ شرحهُ وقرأت عليكم بعضاً منه في الكافي الشريف، عن ذلكَ الاسمِ الَّذي جعلهُ كلمةً تامَّة وأشرقت منهُ الأسماءُ الثلاثة الظاهرة وأوَّلها وسيِّدها وجامعها (اللّه)، ومنهُ أشرقت الأسماءُ الحسنى الفاعلة، أوَّل اسمٍ أشرق منه (العليُّ العظيم)، فالعليُّ العظيم هو الاسم، مرَّ علينا في الزيارات وفي الرواياتِ وفي القُرآن:

مرَّ علينا في سورةِ الزخرف، في الآيةِ الرابعة بعد البسملة: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيم﴾، عليٌّ عظيم، عليٌّ حكيم، عليٌّ، عليّ، المضامين

هي هي، كُلُّها تلتقي في نقطةٍ واحدة، تعود إلى أصلها إلى الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّة.

(فَمَعْنَاهُ اللّه وَاسْمهُ العَلِيُّ العَظِيم)، معناه اللّه؛ الحديث عن الحقيقةِ العَلَويَّة، نحن نتحدَّثُ عن التوحيد في أفق الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّة، في الأسماء الَّتي أشرقت لحاجة الخلق إليها من الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّة، هنا يكونُ المعنى عَلِيَّاً..

الحديثُ عن الحقيقةِ العَلَويَّة الَّتي هي من مجالي، من تجليّاتِ الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّة، الحقيقة الـمُحَمَّديَّة لفاقةِ الخلقِ تجلَّت بالحقيقةِ العَلَويَّة، المضمونُ الَّذي أشارَ إليه أبو طالب صلواتُ اللّهِ عليه في دُعائه حين أقسم على اللّه: (بالـمُحَمَّديَّةِ الْمَحْمُودَة - وبعدها - وَبِالعَلَويَّةِ العَالِية - وبعدها - وَبِالْفَاطِمِيَّةِ البَيْضَاء)، فالعلويَّةُ العاليةُ من مجالي الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، فكيف تكون الحقيقةُ العَلَويَّةُ هي المعنى وتكونُ الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ هي الاسم؟ هذا هو الضلال الَّذي ذهبَ فيه الغُلاة، من هنا لن يكون الشيعيُّ مُوحِّداً ما لم يكن مُعتقداً بالأركانِ الأربعةِ لعقيدةِ التوحيد.